(9)

« .. الوجود القومى لا يمكن أن يصبح حيا وسليما
إلا من خلال تصميمه على تحقيق الاشتراكية .
والاشتراكية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا ربطت
ذاتها بشكل عضوى متماسك مع الحقائق
القائمة فى الأمة ..»

ما هو موقف الاشتراكية فى الفكر الناصرى من الأممية والانسانية ؟.

إن فكرة الناصرية بارتباطها مع خلاصة الفكر الانسانى المتحرر تسهم فى إشراك الأمة العربية فى مجالات التطور الانسانى العام. ورغم أن الاشتراك فى الحياة العالمية والدولية هو قائم بفعل تطور الآلة ووسائل الإنتاج ووسائل النقل، إنما الاشتراكية تحدد نوعيه التفاعل التقدمية وتضمن نمو الجوانب الا يجابيه فى التأثر والتأثير فى هذا المجال. لأنه ليس المهم أن يكون لوطننا علاقات دوليه، إذ أن الأهم أن تؤدى علاقاتنا الدولية إلى تزايد فى تحرير الشعوب ومساواتها على أساس مبادئ تقدميه واضحة تهدف إلى السعادة الحقيقية للإنسان والى علاقات إنسانيه سليمة. فالانطواء على الذات القومية لم يعد وارداً فى هذا العصر، بالاضافة إلى أن الانطواء يكتب فى الأمة كما يكتب فى الفرد طاقات الانطلاق وإمكانيات العطاء. إن الاشتراكية الناصرية تحدد موقف الوطن العربى فى العالم، على أساس تمكينه من اقتحام الآفاق الجديدة واستيعابها من صهر الأفكار الجديدة وجعلها جزءاً من التراث الحضارى الذى منه نستمد القوة المادية والمعنوية والتى تمكننا أن نواجه تحديات الجيل الذى نحن منه.

والاشـتراكية الناصرية تعمل على أن يكون استيعاب العرب للتراث الانسـانى استيعاب مُركز ومُلتزم. وهذا يعنى أن ما نسـتوعبه يجب أن ينصب متفاعـلاً مع ما عندنا. وهذا يعنى بالتـالى أن علينـا أن نعرف وندقق فيما عندنـا وفيما يمكن أن نعطيه للتراث الانسانى.

على ضوء هذا تسـعى الاشـتراكية الناصريـة إلى تحديد نقطـة الانطـلاق وضبطهـا وحمايتها، حتـى لا يـؤدى انجذابنا إلى تيـارات الفكـر الإنسـانى إلى انقطاعنا عن تراثنـا القومى الـذى هو فى الواقع جزء لا يتجزأ من التراث الانسـانى. المشـكلة التى تحدثت عند بعض الاشـتراكيين العرب أنهم فى انجذابهم تخلوا عن نقطة الانطـلاق لوجودهم، فكانوا رغم صحة المبادئ التى انجذبوا إلى عديمى التأثير المباشـر على مجتمعاتهم، وربط تطور مجتمعاتهم مع نمو هذه المبادئ و نجاحها. وكان من نتائج هذا الانقطاع أن بعض الاشـتراكيين أعطـوا مدلولاً خاطئاً عن الاشـتراكية للجماهـير والفئات التقدمية التـى لها مصلحة فى نجـاح الاشـتراكية كنظام ومنهـج للحياة. وأعتقـد البعض أنهم هم وحدهم القوة الاشـتراكية فى الوطـن العربى. والى حد كبير ظهرت الاشتراكية فى الوطن العربى معزولة عن التجربة القوميـة والشـعبية، وظهـرت وكأنها غريبة عن حياة الشـعب وأمانيه.

أدى هـذا الانقطـاع إلى رد فعل لـدى الفئـات اليمينية التى حاولـت أن تأخـذ مـن هـذا التزييف لمعنى الاشـتراكية سـلاحاً يطعنون بواسـطته الاشتراكية ، ليخدموا عن سوء نيه أو حسن نية المآرب الرجعية والاسـتعمارية فـى وطننا ، والتى لا يحطمها فى المـدى الطويـل سـوى إلتزام علمى واع للاشـتراكية حسـب الواقع العربى .

وكان مـن جراء هـذا الانفعال عن بعض الفئـات اليمينية، أن تعرضـت الحركـة القوميـة العربيـة إلى تسـرب النفعيـين والانتهازيين الذين تبنوا شعاراتها المرحلية كى يضربوا حقيقة أهدافهـا و يحرفـوا جوهـر القوميـة العربيـة ومحتواهـا العقائدى والشعبى . فكان يظهر بين حين وآخر تيارات تقول بأن الحركة القوميـة يجب أن تؤجـل والبحث عـن النظام الذى تريـد إقامته . وتيارات تقول بأن الاشـتراكية تفرق بين الشعب الواحد . وفئات تقول بأن الاشـتراكية هى مظهر آخر من الفلسـفة المستوردة أو المقتبسـة. وأقتنع بعض المخلصـين بهذه التيـارات التى أطلقتها الرجعيـة العربية فى أوسـاط الحركـة القومية ، لعـل إطلاقها يؤخر تكامل الوعى وتزايده فى الأوساط العامة.

كان لابـد إزاء هـذان الاتجاهـان : الاتجـاه الأممـى المفهوم الإشتراكى ، والاتجاه الإنطوانى القومية ، والرواسب التى تتفرع عنهمـا ، أن يعمـل الاشـتراكيون الناصريون علـى تصحيحها بشكـل حاسم وسريع.

والتصحيح فى هذا المضمار يعنى توضيح المفهوم الإشتراكى للقومية، وللإنسانية، وللأممية. وعندما تتوضح هذه المفاهيم يصبح بإمكاننا أن نحدد موقف الاشتراكية الناصرية منها. فالاشتراكية نتيجة إقتناع يتوصل إليه الإنسان عندما يريد أن يبلور نزعته التقدمية، وأن يحقق أمانيه الحقيقية. أما القومية فهى تعبير عن وجود قائم وعن كيان ذات خصائص معينه ومصير واحد ينتمى إليه الإنسان انتماء وجودياً. الفرق إذن فى هذا المضمار بين القومية والإشتراكيه بالنسبة الإنسان العربى، أن القومية هى دليل انتسابه إلى كيان والى أمة، وبالتالى مناسبة لوجوده. أما الاشتراكية فى تلازم مجرد الوجود، ولكن تتكون نتيجة اقتناع يولده حس بمسئولية تحسين وتحرير الإطار القومى وجعله يتوافق مع مستلزمات المجتمع الأمثل. الاشتراكية نظرياً هى الوجود المثل ومرحلياً هى التحقيق الأفضل.

من هنا يتضح لنا أنه ليس هناك تناقض بين القومية والاشتراكية، كما يدعى الأمميون والقوميون المنغلقون، بل بالعكس فإن الوجود القومى لا يمكن أن يصبح حياً وسليماً إلا من خلال تصميمه على تحقيق الاشتراكية. والاشتراكية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا ربطت ذاتها بشكل عضوى متماسك مع الحقائق القائمة فى الأمة.

ومن جهة أخرى فالإشتراكيه الناصرية لا تقر أن القومية هى مذهب، بل تصر على أنها وجود وكيان. فالقومية إذا تخطت كونها انتماء ووجود، فإنها تهدد القيم الانسانيه الكامنة فى القومية العربية. فالقومية كمذهب فلسفى هى فلسفه مقفلة، وهذا يؤدى إلى إقصاء العقل عن فاعليته، وتؤدى إلى تحريك الغرائز لحماية الانعزال. فالمذهبية القومية تعتمد على نظريات عرقيه وطائفيه، وتجعل من الغرور القومى أداه لإثبات الوجود. وينتج عن هذا مفاهيم تشوه معنى الكرامة القومية، وتكبت عند الشعب طاقاته لحل مشاكله الاساسية. فالمذهبية القومية ترى الشعب بشكل مبهم وكلى، بينما الاشتراكية ترى الشعب نتيجة تفاعل أفراده. الفرق أنه بالمفهوم الاشتراكى يصبح الإنسان الخلية الأساسية للأمة، بينما بالمفهوم القومى المذهبى المقفل يكون الإنسان مجرد أداه.

يتراءى لنا من خلال هذا الالتباس اللفظى والفكرى الذى نتج عن الانفعال المتبادل. فالقومية المذهبية استمرت بحكم الانفعال ضد الاشتراكية الأممية. الاشتراكية الأممية رأت فى القومية حق الإنسان فى التفاعل مع التراث والحضارة العالميين. من هنا استرسال التياران فى اتجاههما وخطورتهما.

الاشتراكية تجد فى الوجود القومى قطاعاً فى الوجود الانسانى وجزء لا يتجزأ منه. ودور الاشتراكية فى هذا

السبيل هو إغناء الوجود القومى وتفجير طاقته الخيرة المبدعة. كمساهمة فى إغناء التراث الانسانى الذى هو بدوره حصيلة تفاعل القطاعات القومية فى العالم . الاشتراكية فى الوطن العربى تختلف عن الاشتراكية الأممية فى هذا الموضوع ، لأنها تؤمن بأن الوحدة الانسانيه كامنة فى العلاقة التلقائية بين الوحدات البشرية المتنوعة لا نتيجة فرض تجربة معينه مقياساً وحيداً لصحة العمل الاشتراكى .

الاشتراكية فى الوطن العربى تنسق التجربة العربية مع تجارب الإنسان فى كل العالم. بينما الاشتراكية الأممية تربط التجربة العربية بتجربة تعتقد أنها أكثر تقدماً ، وبالتالى لها صفات وحق القيادة . ان الوحدة الانسانية هى التى يشعر الإنسان أنه ساهم فيها . الوحدة الأممية هى تأمين وحدة شكليه دون اعتبار لمضمون هذه الوحدة ووجودها .

الاشتراكية فى الوطن العربى تؤمن للإنسان العربى أن يرى فى الانسانيه نفساً من ذاته. وعندما يرى ذلك يصبح أكثر استعداداً لتقبل وفهم التراث الانسانى. وعندما لا يرى الإنسان العربى فى التراث الانسانى انعكاساً لوجوده ، أو عندما لا تتكون الوحدة الانسانية- ولو جزئياً - من وجوده يتولد عنده مركب النقص فتضعف ثقته فى ذاته، فيستسلم ولا يعود يعطى أو يبدع.